المبحث الثاني

الحَمِيَّة الجاهليَّة

۞ المطلب الأول: الحَمِيَّة لغةً، واصطلاحًا.

- **الحَمِيَّة لغة:** الأَنَفَة والإباء.

الجاهليَّة: مصدر صناعي مأخوذ من "الجاهليِّ" نسبة إلى "الجَهَل".

والجَهَل ضدَّ العلم، وله ثلاثة معانٍ أساسيَّة:

١ـ الجَهَل، بمعنى عدم العلم.

٢ـ الجَهَل، بمعنى عدم اتِّباع العلم، فمن لم يتَّبع الحق بعد أن عرفه فهو جاهل.

٣ـ الجَهَل بمعنى السَّفَه والغَضَب والنَّزَق، أي الإسراع إلى الشَّرِّ والتهالُك عليه.

وإذا أردنا ترجيح أحد هذه المعاني، فإننا نختار المعنى الأخير لكلمة الجَهَل، وهو السَّفَه والغَضَب والإسْراع إلى الشَّرِّ والتهالك عليه، وليس بمعنى عدم اتِّباع العلم.

قال تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾

(الفتح: ٢٦)، يقال: فلان ذو حَمِيَّة منكرة: إذا كان ذا غضب وأنفة.

- **الحَمِيَّة الجاهليَّة اصطلاحًا:** هي الأَنَفَة والغَضَب، والعصَبيَّة القوميَّة والقبليَّة، والطيش والحُمْق والسَّفَه، التي كانت شائعة بين كثير من العرب قبل الإسلام، فصارت لازمة له، وعُرِف بالعصر الجاهليِّ، وعرف العرب بأنهم أهل الجاهليَّة.

* * *

۞ المطلب الثاني: الحَمِيَّة أمر من أمور الجاهليَّة(١):

بعد أن تعرَّفنا على أن الحَمِيَّة، حَمِيَّة الجاهليَّة كانت ملاصقة وملازمة للعصر الذي سبق الإسلام، واتَّصف العرب بأنهم أهل جاهليَّة وعصَبيَّة شديدة وتهوُّر، ووصلت لنا أخبار ذلك عن طريق الأدب الجاهليِّ والشعر الجاهليِّ، وبعض قصص أيام العرب في العصر الجاهليِّ التي وضَّحت وأظهرت ما كان عليه العرب قبل الإسلام، فعلى سبيل المثال لا الحصر، ما قاله عمرو بن كلثوم في

---

(١) من أمور الجاهليَّة الواردة في القرآن الكريم: تبرُّج الجاهليَّة، حَمِيَّة الجاهليَّة، ظنُّ الجاهليَّة، حكم الجاهليَّة، ومن أمور الجاهليَّة الواردة في السنَّة المطهَّرة: ربا الجاهليَّة، دماء الجاهليَّة، الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، النياحة وشقُّ الجيوب، ولطم الخدود، نكاح الجاهليَّة (ومنه نكاح الشغار و....)، والاستسقاء بالنجوم.

معلَّقته، مفتخِرًا بقومه، ومتعصِّبًا لهم:

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا ... فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجاهِلينا
لَنا الدُّنْيا ومَنْ أَمْسَى عَلَيْها ... ونَبْطِشُ حَيْنَ نَبْطِشُ قادِرِينا
بُغاةً ظالمِينَ ومَا ظُلِمْنا ... ولَكِنَّا سَنَبْدأُ ظالِمِينا

• فالتَّعَصُّب من سمات الجاهليَّة التي تتحاكم للعادات والتقاليد والخرافات، وتقدِّمها على الشرع. قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**][1]، فكل هذه الأمور من أمور الجاهليَّة.

• فقد كانت غَيبة القانون السماوي، وجهل العرب بالتشريع والنظام، وطبيعة حياتهم القبليَّة سببًا أدى بهم إلى التخبُّط والوقوع في حمأة الشرور، والآثام الاجتماعيَّة التي استنكرها الإسلام وحرَّمها، وانعكس هذا الجَهَل أيضًا في السلوك، وفي تكوين العلاقات بين القبائل، فرأينا التطرُّف والمغالاة يتحكَّمان في سلوك العرب قبل الإسلام، وربما اشتعلت بينهم الحروب الطاحنة لأوهى الأسباب،

---

(١) رواه مسلم، ح (٩٣٤).

كما يحدِّثنا التاريخ عن حرب البَسوس التي وقعت بين قبيلتي بكر وتَغْلِب على ناقة للبسوس، خالة جسَّاس بن مرَّة سيد بني بكر، إذ رمى ضرعَها بسهم فاختلط لبنها بدمها، ولما علم جسَّاس بما حدث ثار لكرامته، وسنحتْ له فرصة من كليب فقتله، ودارت رحى الحرب، واحتكموا إلى الحارث بن عمرو بن الكندي، فأصلح بينهما.

• وقل ما شئت من مثل ذلك في حرب داحِس والغبراء، والأوس والخزرج قبل الإسلام، وفي المواقع العديدة التي سمِّيتْ بأيام العرب، والتي بلغت ألفًا ومائتي يوم، وربما كان مبعثها سببًا يمكن أن يعالَج إذا وُجِد قانون أو عرف عام اصطلح عليه الناس في ذلك الزمان، أو لو أن فطرتهم كانت مجبولة على حبِّ النظام، وعلى ضبط النفس، وغير ذلك من المكارم والمحامد التي غرسها الإسلام في نفوسهم.

• **ومن مظاهر التَّعَصُّب الجاهليِّ:** الطعن في أنساب الناس والنقيصة منهم بكل سهولة، وفي كل مناسبة، على سبيل التشفِّي والتشهِّي، وهذا أمر شائع، والله المستعان.

* * *

❁ المطلب الثالث:

الحياة السياسيَّة والاجتماعيَّة لعرب الجاهليَّة:

لقد انقسم العرب في شبه الجزيرة العربيَّة قبل الإسلام إلى قسمين كبيرين، عاشا واستقرَّا في شمال شبه جزيرة العرب وجنوبها، وعلى الرغم من اختلاف حياة كل من الشعبين نظرًا لاختلاف الموقع الجغرافي والمناخ وطبيعة الأرض، فإننا لا نستطيع أن نفصل فصلًا حادًّا بين نَمَطي الحياة لكلا الشعبين العربيَّين، على أننا ـ مع ذلك ـ يمكن أن نميِّز بين شكلين للحياة في شبه الجزيرة يتداخلان في الشمال والجنوب على سواء.

• **فهناك البدو**، الذين يقيمون بالبادية قبائل متفرقة لا يستقرُّ بهم مقام، لأن اعتمادهم كليًّا على الرعي الذي يتطلب الارتحال والتنقُّل دائمًا إلى حيث منابت الكلأ ومواقع الغَيْث والقَطْر، لا يتَّخِذون حرفة أخرى غير رَعْي حيواناتهم المستأنَسة، كالإبل والخيل والضأن والماعز، أو ما كان يساعد على الرعاية والاعتناء بهذه الحيوانات، حتى إنهم ليَرَوْن اتخاذ حرف أخرى كالزراعة مثلًا عارًا كبيرًا، ومن ثَمَّ كان مبدأ البدوي وشعاره الإعلاء من شأن حياته، وتحقير حياة

الآخرين، ومنه قولهم: (الذل بالحرث، والمهانة بالبقر، والعزُّ بالإبل، والشجاعة بالخيل).

• **وهناك الحَضَر**، وهم سكان المدن التي كانت تزخَر بها شبه الجزيرة، كمأرب وصنعاء وزبيد وعدن باليمن، ومكة والطائف ويثرب بالحجاز، وهذا القسم الحَضَري يعتمد على التجارة، والزراعة والصناعة حياتهم حياة استقرار، لا تعرف التنقُّل والتِّرحال إلا ما كان سعيًا وراء تجارة، أو فرارًا من غزو دخيل، أو أداءً للشعائر الدينيَّة، وخاصة رحلة الحجيج إلى مكة التي كانت مقرَّ البيت الحرام الذي كان يحتل في نفوس جميع العرب مكانة خاصَّة.

• فهذه هي الطبيعة السياسيَّة للعرب التي كانت مستقرَّة لحدٍّ ما لتشابك المصالح المتبادَلة، ولتشابك اللغة واللسان الواحد؛ مما كان سببًا قويًّا لهذا الاستقرار السياسي المبني على الروابط والمصالح المشتركة.

أما بالنسبة للطبيعة الاجتماعيَّة فقد كانت القبيلة هي البِنية الأساسيَّة التي قام عليها النظام السياسيُّ والاجتماعيُّ العربيُّ، وكان لَبِنتَها الرئيسيَّة الفردُ العربيُّ ينتمي ويعطي ولاءه، والقبيلة مترابطة القرابة والدم، حيث ينتسب أفرادها إلى أب واحد، وقلَّ أن ينتسب

إليها من لم يشاركها في نَسَبِها، اللهم إلا إذا كان عن طريق الحِلْف أو الجوار والحماية والولاء.

ولذلك رأينا قبائل تسمَّى غالبًا باسم الأب، كقبائل: ربيعة ومُضَر والأوس والخزرج، وقليلًا ما تنسب إلى الأم كبجيلة، وخندف.

• **وتتكون القبيلة من طبقات:**

١ـ **أبناء القبيلة:** وهم الذين يشتركون جميعًا في رابطة الدم والنسب، ويُعَدُّون عمادَ القبيلة وقوامها في الحرب والسلم، ويتصاهرون فيما بينهم من حرائر القبيلة.

٢ـ **موالي القبيلة:** وهم عتقاؤها من العبيد، الذين جُلِبوا بالتجارة أو بالأسْر في الحروب، ويدخل فيهم أيضًا الخُلَعاء، أي هؤلاء الذين خلعَتْهُم قبائلهم الأصيلة، كالصعاليق، وهؤلاء إما أن يعيشوا شذَّاذًا معتمدين على أنفسهم في كسب العيش والدفاع عن وجودهم، وإما أن يستجيروا بقبائل أخرى، فتقبل إجارتهم وتُبسَط لهم الحماية، فيصبحون مثل أبنائها في التمتُّع بكافة الحقوق، والالتزام بكافة الواجبات.

٣ـ **العبيد:** وهؤلاء هم الرقيق المجلوب بالأسر أو التجارة،

وخاصَّة من البلاد المجاورة كالحبشة.

ونَعني في هذا المقام الحديث عن الطبقة الأولى التي تشكِّل السياسة العامَّة للقبيلة، وتؤثِّر في حياتها.

• وأول مبدأ يسترعي انتباهَنا هو اعتزاز العربي بقبيلته وافتخاره بها، وانتمائه الشديد إليها، حيث يتعصَّب لقبيلته، ويعيش لها وبها، وهذا المبدأ هو ما يمكن أن نسمِّيَه العصَبيَّة القبليَّة الذي اختصره مجملًا **دريد بن الصّمة** في بيت واحد قال فيه:

وما أنا إلا مِن غُزَيَّة إنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وإنْ تَرْشُدْ غُزَيَّةُ أرْشُدِ

فضلال الفرد ورشاده مرتبطان بقبيلته، والقبيلة من ناحيتها تحميه من العدوان، وتطالب بدمه إن جنَى عليه أحد، وتظلُّ متمسِّكة بكل فرد، إلا إذا أتى بأمور تخالف أخلاق وتقاليد القبيلة فتقوم بخلعه، كإسقاط الجنسيَّة في زماننا، حتى يلحَق بقبيلة أخرى ويسمَّى (حليفًا).

• وكان لكل قبيلة شاعر أو أكثر يتغنَّى بمفاخرها وأمجادها، ويذود عنها أعداءها وخصومها، فالشاعر هو لسان حالها، والمعبِّر عن طموحاتها ووجداتها، وبلغ من اعتزاز العرب وسعادتهم بالشعراء، أنه

إذا نبغ شاعر في قبيلته أتتْ القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النسوة يلعبْن بالمزاهر، كما يفعلْن في الأعراس والمناسبات السعيدة، ويتفاءل ويستبشر الرجال، لأنه حماية لأعراضهم، وصيانة وذبٌّ ونفحٌ عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم وذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولَد، أو شاعر ينبغ، أو رأس تنتج، ويمكن أن نعتبر أن الشاعر في ذلك العصر كان وسيلة إعلام قويَّة.

وفي مقابل هذا التقدير الذي حَظِيَ به الشعراء، كان عطاؤهم وإخلاصهم لقبائلهم غير منكور، وتتواتر القصص في مصادر الأدب الجاهليِّ عن شعراء جاهليِّين حَمَوْا أعراض قبائلهم بشعرهم ونثرهم، وشعراء تشفَّعوا لقبائلهم فشُفِّعوا.

• كان الدور الذي لعبته العصَبيَّة القبليَّة في الحياة الاجتماعيَّة للعرب قبل الإسلام كبيرًا جدًّا، لأن طبيعة الحياة الخَشِنة التي كانوا يعيشونها أظهرت فيهم هذه الصفة، فشكَّلت علاقتهم، ورأينا الصلات القبليَّة تُبنَى على العداء والحروب المتتاليَّة والمتتابعة في كثير من الأحيان، وعلى التحالف والتناصر في قليل من الأحيان.

• لقد أدى التَّعَصُّب القبلي بالفرد العربي إلى تجاهل القبائل الأخرى،

والتهوين من شأنها، والاعتداء المستمرِّ عليها كلما سنحت الفرصة، كما أعلن الشعراء الجاهليون لنا في قصائدهم، فيقول عمرو بن كلثوم:

لَنا الدُّنْيا ومَنْ أمْسَى عَلَيْها ونَبْطِشُ حَيْنَ نَبْطِشُ قادِرِينا

بُغاةً ظالمينَ ومَا ظَلَمْنا ولَكِنَّا سَنَبْدأُ ظالِمِينا

ويقول زهير الذي يسمَّى شاعر السَّلام:

ومَنْ لا يَذُدْ عَن حَوْضِهِ بسلاحِهِ يُهَدم،ومَن لا يَظْلِمِ الناسَ يُظْلَمِ

• وليست الحروب التي وقعت بين قبائل العرب في الجاهليَّة إلا دليلًا على العلاقات المتوترة التي كانت تسود وتتحكَّم فيهم.

فولَّدت فيهم هذه الحروب صفاتٍ سلبيَّة، منها ما انتشر بينهم وجرى في دمائهم من حبِّ الأخذ بالثأر، حتى صار كالقانون الذي تسير عليه حياتهم، إذ كانوا يحرِّمون على أنفسهم الخمر والنساء والطِّيب حتى يثأروا من خصومهم، (كما نرى في زماننا هذا من انتشار ظاهرة الثأر بين القبائل العربيَّة في صعيد مصر وعلى أطرافها)، وكانوا يزعمون أن القتيل الذي لم يؤخَذ بثأره يخرج من قبره أو من رأسه طائر يسمَّى الهامة، فلا يزال يقولون: اسقوني، اسقوني، حتى يقتل قاتله فيسكن.

يقول ذو الإصبع العدواني:

يا عَمْرو إلا تَدَعْ شَتْمي ومَنْقَصَتي أَضْرِبْكَ حتَّى تقولَ الهامةُ اسْقُوني

• ومن الصفات السلبيَّة أيضًا: رفضُهم للدِّيات التي لم يكونوا يقبلونها إلا بعد تفاقم الأمر وإفناء الحرب لهم حرثًا ونسلًا، بل إن بعضهم كان يَعُدُّ قبول الدِّيَة سُبَّة وعارًا.

يقول عبد العزى الطائي، مفتخِرًا بقومه، وبأنهم لا يقبلون الدية مهما كانت العواقب:

إذا ما طَلَبْنا تبْلَنا عندَ مَعْشَرٍ أَبَيْنا حِلابَ الدّرِّ أو نَشرَب الدِّما

وكانت النساء يحمين الصدور، ويلهِبن النفوس حَمِيَّة، يذكِّرن الرجال دائمًا بواجب الحفاظ على شرف القبيلة وعرضها، لأنهن عنوان القبيلة، وسبيل شرفها، بل إن كثيرات منهن كن يُدلين برأيهن في المسائل العامة، وخاصَّة الأخذ بالثأر.

تقول أم عمرو بنت وقدان في أخٍ لها قُتِل، وفكَّرت عشيرتها في أخذ الدِّيَة فيه:

إنْ أنتُمُ لَمْ تطلُبوا بأخِيكُمُ فَذَرُوا السلاحَ ووحِّشوا بالأَبْرَقِ

وخُذوا المكاحِلَ والمجاسِدَ والْبَسُوا ثُقُبَ النساءِ بِئْسَ رَهْطُ المُرْهِقِ

• وهناك آفات كثيرة جدًّا، ولكن لا مجال لها الآن، فسياق الكلام خاصٌّ بآفةِ الحَمِيَّة والأَنَفَةِ والعصَبيَّة القبليَّة، فما أشبَهَ الليلةَ بالبارِحَةِ، فهاهم العرب لما ابتعدوا عن دين ربِّهم، وهجروا قرآن ربِّهم وسنة نبيِّهم، وأخلاقه الكريمة، تفرَّقوا وتحزَّبوا فصار التَّعَصُّب للحزب وللجماعة وللفصيل، كتعصُّب وكحَمِيَّة العرب الجاهليِّين قبل الإسلام، فانتشرت الآفات والسلبيَّات، مما عمَّت به البلوى، ونراه ونحياه في جميع مناحي حياتنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

۞ المطلب الرابع: الحَمِيَّة في القرآن والسنة:

• بَيَّنَ القرآن الكريم معاني الحَمِيَّة التي كان عليها العرب قبل الإسلام بجَلاء، وشخَّصها أفضل تشخيص، وأظهر صفاتها كوضوح الشمس في رابعة النهار، كي يتحرَّز منها العرب بعد قبولهم الإسلام ويعالجونها، ومن هنا كانت دعوة الإسلام للعرب تهذيبًا لفطرتهم، وأخذًا بها على الطريق القويم، أو إن شئت بتعبير آخر، ترشيدًا لفطرة العرب التي انحرفت عن جادَّة الصواب، يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

« وإذا أردت أن تعرف جهل العرب فاقرأ ما في الثلاثين ومائة في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ (الأنعام).

ومن المعاني الواردة أيضًا أن (الجَهَل) بمعنى السَّفَه والغَضَب والحَمِيَّة والعصَبيَّة والنَّزَق والحُمْق، أي الإسراع إلى الشرِّ والتهالك عليه.

ولقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر الجاهلي بهذا المعنى، من الحَمِيَّة والطيش وسرعة الانفعال والغَضَب.

فقد وردت ﴿ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ في سياق المقارنة بين ما عليه الكفار من حَمِيَّة واعتزاز، في مقابل ما عليه المؤمنون من سكينة وهدوء.

قال تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الفتح).

• تتحدَّث الآية عما فعلَتْه قريش بالمسلمين، عندما منعت الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه من الدخول إلى مكة معتمرين، وأوقفوهم

في سهل "الحديبيَّة" في نهاية السنة السادسة من الهجرة، فلماذا منعَ الكفارُ دخول المسلمين مع أنهم أهله الأصَلاء؟!

إن الذي دفعهم إلى هذا هو ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، والحَمِيَّة هي الأنفة والإباء، مأخوذة من "الحمي" وهو القوة المحرِّكة التي تُحمي وتسخِّن، وتولِّد الحرارة المعنويَّة، هذه الحَمِيَّة الغضبيَّة هي التي حرَّكتهم وسخَّنتهم، ودفعتهم إلى أن يخالفوا المنطق والعقل، ويمنعوا المسلمين من دخول الحرم، بدون ذنب ارتكبوه، إلا أنهم مسلمون! ومَنَّ الله على رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين، فأنزل السكينة عليهم، وملأت عليهم حياتهم، ودفعتهم إلى حسن التصرُّف، ومقابلة حَمِيَّة قريش الجاهليَّة بتلك السكينة الإيمانيَّة.

• والجاهليَّة في الآية مضاف إليه لمضاف محذوف تقديره: (حَمِيَّة أهل الجاهليَّة)، فالجاهليَّة هنا جاهليَّة انتماء سياسيٍّ وقوميٍّ، وتصرف قياديٌّ، لأنها صفة للحالة العامة التي كان عليها زعماء قريش، عندما أصدروا قرارهم القيادي السيادي بمنع المسلمين من أداء العمرة.

• والجاهليَّة حالة يكون عليها الزعماء والمسئولون عندما يتَّخذون

قرارًا جائرًا ظالمًا خاطئًا، لأن الذي دفعهم إلى هذا القرار (حَمِيَّة الجاهليَّة).

• قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾: «.. عن الزهري قال: كانت حميَّتهم التي ذكر الله.. أنهم لم يقرّوا (بسم الله الرحمن الرحيم)، وحالوا بينهم وبين البيت،.. وقال (حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) لأن الذي فعلوا من ذلك كان جميعه من أخلاق أهل الكفر، ولم يكن شيء منه مما أذن الله لهم به، ولا أحد من رسله»(١).

• وقيل: ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ إنهم قالوا: قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا في منازلنا، واللَّات والعُزَّى لا يدخلها أبدًا، ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾، أي: الطمأنينة والوقار ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقيل: ثبَّتهم على الرضا والتسليم، ولم يدخل قلوبهم ما أدخل قلوب أولئك من الحَمِيَّة، قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ قيل: لا إله إلا الله، رُوِي مرفوعًا من حديث أبي بن أبي كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن

(١) جامع البيان في تفسير القرآن - تفسير الطبري (٢٢/ ٢٥٢- ٢٥٣).

النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو قول عليٍّ وابن عمر وابن عباس، وعمرو بن ميمون ومجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك وسلمة بن كهيل وعبيد بن عمير وطلحة بن مصرف، والربيع والسديّ وابن زيد، وقال عطاء الخراساني: وزاد (**محمد رسول الله**)، وعن علي وابن عمر أيضًا هي: (**لا إله إلا الله والله أكبر**)، وقال عطاء بن أبي رباح ومجاهد أيضًا: هي (**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**)، وقال الزهري: (**بسم الله الرحمن الرحيم**)، يعني أن المشركين لم يُقِرُّوا بهذه الكلمة، فخصَّ الله بها المؤمنين، و﴿**كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ**﴾ هي التي يُتَّقَى بها من الشرك، وعن مجاهد أيضًا أن ﴿**كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ**﴾: الإخلاص، ﴿**وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا**﴾ أي: أحق بها من كفار مكة، لأن الله تعالى اختارهم لدينه وصحبة نبيِّه: ﴿**وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾.

• وقال الشيخ الشعراوي في تفسير هذه الآية: « الحقّ سبحانه وتعالى يبيِّن لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علة أن صدُّوه عن دخول مكة هذا العام، فالمسألة كلها مجرد حقد وحَمِيَّة جاهليَّة تمكنت من قلوب

هؤلاء، فكبر عليهم أن يدخل محمد وأصحابه مكة، ففي دخولهم هذا العام إهانة لهم.

الحَمِيَّة هو الطيش والغرور والغطرسة، فالقوة لا تمدَح ولا تذَمُّ إلا من خلال أثرها على صاحبها، فالقوة تمدَح إن جلبت الخير لصاحبها، وتذَمُّ إن جرَّته إلى الشرِّ، وأوقعته في الهلاك. ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

السَّكِينة: يعني الطمأنينة، والثقة في نصر الله، والرضا بالصلح، والعودة دون دخول مكة هذا العام».

* * *

• ولم تتجاهل السنة أيضًا الحديث عن حَمِيَّة الجاهليَّة لمعالجتها، فقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتِنَ**][1].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَدْعُو**

(١) أخرجه أحمد وأبو داود، وحسَّنه الألباني.

عَصَبِيَّةً، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ][1].

وقالَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟] قَالُوا: يَا رَسُولَ الله كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: [دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ][2].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « الدُّعَاءُ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، وَالتَّعَزِّي بِعَزَائِهِمْ، كَالدُّعَاءِ إِلَى الْقَبَائِلِ وَالْعَصَبِيَّةِ لَهَا وَلِلْأَنْسَابِ، وَمِثْلُهُ التَّعَصُّبُ لِلْمَذَاهِبِ، وَالطَّرَائِقِ، وَالْمَشَايِخِ، وَتَفْضِيلُ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ بِالْهَوَى وَالْعَصَبِيَّةِ، وَكَوْنُهُ مُنْتَسِبًا إِلَيْهِ، فَيَدْعُو إِلَى ذَلِكَ وَيُوَالِي عَلَيْهِ، وَيُعَادِي عَلَيْهِ، وَيَزِنُ النَّاسَ بِهِ، كُلُّ هَذَا مِنْ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ »[3].

• وقد كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع شرف نسبه، وعلوِّ منزلته، يتعايش مع الجميع، ولا يشعر أحد بالدونيَّة، فيأكل مع الفقراء، ويمشي

---

(١) أخرجه مسلم، ح (١٨٥٠).

(٢) أخرجه البخاري، ح (٤٩٠٥)، ومسلم، ح (٢٥٨٤)، واللفظ له.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٢/ ٤٣١).

مع المساكين، ويسعى في قضاء حاجة الأمة، ويتفقَّد أحوال الضعفاء، كخروجه للصلاة على قبر المرأة التي كانت تَقُمُّ المسجد، وينتصر للغُرَباء، ولما تكلَّم أبو ذر الغفاري في بلال الحبشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعيَّره بأمه، قال له النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**].

عَنِ المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**][1].

• وكذلك ما حدث بين الأوس والخزرج في قصة الإفك في المسجد، وبينهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وساقت الحديث إلى قولها: « فَقَامَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي**

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٣٠)، ومسلم، ح (١٦٦١).

أَهْلِي، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي]، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا وَاللهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا، فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ - وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ - فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، لاَ تَقْتُلُهُ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، وَاللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ، فَثَارَ الحَيَّانِ الأَوْسُ، وَالخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المِنْبَرِ، فَنَزَلَ، فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا، وَسَكَتَ.... »الحديث(١).

فهاهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، في لحظاتٍ أَنْسَتْهُمْ الحَمِيَّة والعصَبيَّة أنهم في المسجد وبين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكاد أن يصاب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل كادوا أن يقتتلوا، وكادت الحَمِيَّة والعصَبيَّة لنصرة رأس النفاق الذي ينتمي لقبيلتهم، بالرغم من أنه تكلَّم في عرض النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن تنسيَهم ما تربَّوْا عليه من الإخاء والمودة

(١) أخرجه البخاري، ح (٢٦٦١)، ومسلم، ح (٢٧٧٠).

والمحبة في الله، والبغض والموالاة فيه، وصرف كل ذلك لله تعالى، وكادت هذه المحنة أن تعصف بالأمة كلِّها، ولكن الله سلَّم.

ولم ينقل عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه فاخَرَ بنسَبِه إلا في مواطن قتال الكفار.

* * *

۞ المطلب الخامس: الحَمِيَّة الجاهليَّة من نواقض الولاء والبَراء:

• تعريف الولاء والبَراء:

الولاء لغة: من المَوْلَى، وهو القريب، أي معناها القرب.

الولاء اصطلاحًا: الحبُّ والنُّصْرة، فهو حبُّ الله تعالى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحبُّ دينِ الإسلام، وأتباعِهِ من المسلمين.

البَراء لغة: البُعْد والتَّرْك.

اصطلاحًا: البُغض والعداوة، فهو بغض الطواغيت التي تُعبَد من دون الله، من الأصنام الماديَّة والمعنويَّة، كالأهواء والآراء، وبُغض الكفر، وجميع ملَلِه وأتباعه الكافرين المنافقين، ومعاداة ذلك كله.

• ركنا الولاء: "الحبُّ والنصرة"، **وركنا البَراء:** "البغض والعداوة".

والنُّصرة: تكون بتمنِّي انتصار الإسلام وأهله، والعمل على ذلك.

والعداوة: تكون بتمنِّي اندحار الكفر وأهله، والعمل على ذلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (المائدة).

فلا تكون المحبَّة ولا النصرة ولا العصَبيَّة ولا الحَمِيَّة إلا لهؤلاء الثلاثة (الله ورسوله والذين آمنوا)، وكلُّه يصبُّ في رضا الله تعالى، وعلى مراد الحقِّ جل جلاله، لا على أهواء وآراء وحزبيَّة وقوميَّة، وغير ذلك من دعاوى غير شرعيَّة، أو أفكار شرقيَّة وغربيَّة.

فمن أراد الفوز والنجاة، والغلبة للدين، والنصرة لشرعه، فلا سبيل له إلا بعقد الولاء لله ولرسوله والذين آمنوا؛ ليكون من حزب الله المذكور في الآية، بفهم الصدر الأول من الصَّحْب الكرام والتابعين لهم بإحسان، لا بفهم شيخ، ولا بفهم جماعة، ولا بفهم حزب، ولا بفهم فصيل أو حركة.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾

• فحزب الله الحقيقيُّ يتكون من هؤلاء الثلاثة الذين لا رابع لهم، ومن جعل لهم رابعًا فقد أحدث حدثًا في دين الله، وهو من أهل البدع والأهواء، وهو على خطر جسيم إن لم يتب إلى الله تعالى.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**](١)، فالذي يخالف ذلك كأنه يحرث في البحر.

• فالمسلمون كالجسد الواحد، المكون من قلب وعظم ولحم ومخٍّ، ومركب بمفاصل تصل بعضه ببعض، فإذا تضرَّر عضو أو جهاز تأثر الجسد كله، وإذا انفصل مفصل في القدم مثلًا، لا يستطيع الجسد النهوض ولا المشي، فبذلك يتضرَّر الجسد كله، وإذا تضرَّرت عين أو أصيبت بأذى تتحمَّل العين الأخرى أعباء النظر، وهكذا.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**](٢).

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٢٦٩٧)، ومسلم، ح (١٧١٨).
(٢) أخرجه البخاري، ح (٦٠١١)، ومسلم، ح (٢٥٨٦).

• فهذه الكلمات قليلة المبنى غزيرة المعنى الذي يجب أن يحياه أهل الإسلام، حكماء وعلماء، وطلبة علم، ودهماء "عوام"، ومن هنا نقول بمفهوم المخالفة، أن مثل المؤمنين في تحزُّبهم وتفرُّقهم وتمزُّقهم وحميَّتهم وعصبيَّتهم الجاهليَّة التي ليست على مراد الحق ﷻ، كمثل الجسد المتفكِّك المتحلِّل المتقطِّع، وهو سبب في تداعي الأمم والأعداء والخصوم على هذه الأمة، بل واستغلت في ذلك بعض المتعصِّبين وأصحاب الحَمِيَّة الجاهليَّة والولاء المذموم، واستعانت بهم وبجهلهم وبأفعالهم في هدم جسد الأمة، **وبذلك يجد الأعداء جسدًا ضعيفًا مُنهَكًا بيد أعضائه، فينقضون عليه وقت ما شاءوا، وأحيانًا يوفِّرون حياتهم هم، ويتركون من ينتسبون لهذه الأمة يدمِّرون جسدهم بأنفسهم!، وحسبنا الله ونعم الوكيل.**

• فعقيدة الولاء والبَراء شرط من شروط الإيمان، وجزأ لا يتجزَّأ من الإيمان، بل هي مفسِّرة لكلمة التوحيد، وهي السبيل القويم لاجتماع الأمة ووحدتها، ولنجاتها من التفرُّق أحزابًا وجماعات على سراب خادع كاذب.

• والولاء والبَراء شرط من شروط الإيمان، لقوله تعالى: ﴿لَّا

تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (المجادلة).

فالمودَّة من أعمال القلوب، والإيمان محلُّه القلب، فإذا صُرِفت المودَّة لغير طريقها الصحيح ـ كما بيَّنت الآية ـ انحلَّ الإيمان، ولو كانت هذه المودَّة لأقرب قريب، وهو على الكفر انحلَّت عقدة الإيمان.

فأخي على الحقيقة هو المسلم ولو كان في آخر بقاع الدنيا، وهو أولى بالمحبة والنصرة والولاية من أبي أو أخي من النسب إن كان كافرًا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (التوبة).

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ](١).

---

(١) أخرجه أحمد، ح (١٨٥٢٤)، وحسَّنه الألباني.

فالحبُّ في الله أوثق عُرى الإيمان، وشرط أساسيٌّ من شروط صحة الإيمان، لا يصِحُّ إلا به.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**](١).

• وعقيدة الولاء والبَراء مفسِّرة لكلمة التوحيد، وتحمل معنى (**لا إله إلا الله**). أي: بأنه لا معبود بحق إلا الله، ولا مستحقّ للعبادة بحقٍّ إلا الله، وأن ركني (لا إله إلا الله) كمال المحبة، مع تمام الذلِّ والخشية، فكلمة التوحيد تتكون من شقَّين رئيسيَّيْن:

الشقُّ الأول (لا إله) نفي عام لكل ما يعبد من دون الله، أو كل ما يتخذ إلهًا من دون الله، قال تعالى: ﴿ **لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا** ﴾(البقرة: ٢٥٦).

والشقُّ الثاني: (إلا الله) إثبات خاصٌّ، وهو تخصيص الله سبحانه

---

(١) أخرجه مسلم، ح (٥٤).

وتعالى بالعبادة، وحده لا شريك له.

وتتجلَّى علاقة عقيدة الولاء والبَراء بمعنى (لا إله إلا الله) أيضًا في شِقَّيْن: الشقِّ الأول (لا إله) ويفيد براءة عامة من كل ما يعبد من دون الله تعالى، والشقِّ الثاني (إلا الله)، ويفيد الولاء الخاص لله تعالى وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾(الزخرف)، وكما قال تعالى:﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾(الممتحنة: ٤)، فتأمل قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾ من الأشخاص أولًا، ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ومن المعبودات ثانيًا، فهذه الآيات مبيِّنة بجلاء أن عقيدة الولاء والبَراء مفسِّرة لكلمة التوحيد.

• وقد بيَّنت السنة النبويَّة أيضًا هذا المعنى:

عَنْ جَرِيرِ بن عبد الله البجلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، اشْتَرِطْ عَلَيَّ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالشَّرْطِ، قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَعْبُدَ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَنْصَحَ**

الْمُسْلِمَ، وَتَبْرَأَ مِنَ الْمُشْرِكِ][1].

• فقد أسَّس القرآن الكريم والسنة النبويَّة قواعد عقيدة الولاء والبَراء لتجمع قلوب العرب، وتوظِّف هذه الحَمِيَّة في مكانها الصحيح، فقام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بفهمها وتطبيقها على أكمل وجه، وألف الله تعالى بين قلوبهم، ولو أنفق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مافي الأرض جميعًا على أن يؤلف بينهم، ما ألف بينهم، لأن الله تعالى هو الأعلم بما كانوا عليه من جاهليَّة وشرٍّ، وحَمِيَّة وعصَبيَّة، وسَفَه وحُمْق، حتى تمكَّن الإسلام من قلوبهم، وخالطت العقيدة لحومهم ودماءهم وضربوا بها المُثُل العليا والقدوة الحسنة، وحوَّلوها إلى واقع على الأرض، ليكون نبراسًا لمن أراد أن يسلك هذا الطريق، وينصر هذا الدين، ويحكِّم شرع الله في أرضه.

• وعقيدة الولاء والبَراء هي القضيَّة الثانية من حيث الرعاية والاهتمام، وكثرة الآيات بعد قضيَّة التوحيد ونبذ الشرك، فقد قسَّم القرآن الناس في الاعتقاد إلى ثلاثة أقسام: المؤمن، والمنافق، والكافر، وبيَّن حقَّ كل قسم في عقيدة الولاء والبَراء.

---

(١) أخرجه أحمد، ح (١٩٢٣٣) بإسناد صحيح.

ـ أما المؤمنون: فقد قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (التوبة).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ](١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا](٢).

ـ وأما المنافقون: فقد قال فيهم سبحانه: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ ﴾ (النساء).

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٢٤٤٢)، ومسلم، ح (٢٥٨٠).
(٢) أخرجه البخاري، ج (٤٨١)، ومسلم، ح (٢٥٨٥).

ـ وأما الكافرون: فقد قال الله تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ (النساء).

وقال أيضًا: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ (آل عمران).

• وقال تعالى ناهيًا المؤمنين عن عقد الولاء لليهود والنصارى، ومحذِّرًا من مغبَّة ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ (المائدة).

• فالذين يوالون الكافرين في قلوبهم مرض كما أخبرنا ربنا في محكم التنزيل: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ (المائدة).

• وموالاة أعداء الإسلام ردَّة عن الحق، وسببٌ لأن يُجري الجبَّارُ سنَّة الاستبدال عليهم، لأنهم فرَّطوا في صفات أهل التمكين، وعقدوا محبتهم وموالاتهم لغير المؤمنين، وبيَّن تعالى أنه إذا استبدلهم، فسيأتي بقوم يتَّصفون بالصفات التالية:

الأولى: أن الله يحبهم، وهم يحبونه.

الثانية: أذلة على المؤمنين.

الثالثة: أعزة على الكافرين.

الرابعة: يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (المائدة). فهؤلاء هم حزب الله الغالبون.

فاللهم استعملنا، ولا تستبدلنا.

• فالإسلام تعامل مع قضيَّة الولاء والبَراء بأهميَّة بالغة، وبرعاية فائقة حتى يخرج المسلمين من ضيق الحزبيَّة والقوميَّة والقبليَّة والعصَبيَّة المقوتة إلى سَعَة الإخاء والمحبة والمودَّة الخالصة لله تعالى، بغضِّ النظر عن الجنس واللغة واللون، إنما تجمعُهم كلمة التوحيد، وعقيدة أهل السنة والجماعة، بفهم سلف الأمة، لا بفهم فئة أو جماعة، أو شيخ متعصِّب، أو من له أتباع يستدلون بكلامه على الدليل، ويعتبرونه - بلسان حالهم إن لم يقولوها - أنه صاحب الحق الأوحد الذي لا يخطئ، وهذا مما عمَّت به البلوى في زماننا من اعتبار أن الجماعة هي مصدر الحق تعصُّبًا، أو الشيخ منبع الحق وحده تعصُّبًا وحَمِيَّة، في دائرة ضيقة منغلقة عن سعة النصوص واجتهاد العلماء، وعن فقه الواقع والنوازل، والله المستعان.

* * *

۞ المطلب السادس: العصَبيَّة الحزبيَّة، والتَّعَصُّب التنظيمي.

• إن العصَبيَّة أو التَّعَصُّب الحزبي والتنظيمي في الجماعة أو الحركة أو الفئة هي شعور ضيِّق بالانتماء، وهذا الضِّيقُ يولِّد في أفرادها التزامًا فئويًّا بكل ما لها وما عليها التزامًا واجبًا، ويجعل الحزبيَّة الضيِّقة ترى أن أي موقف خاطئ، وأي فعل خاطئ لها هو أفضل من أي صواب لدى الآخرين.

• العصَبيَّة الفئويَّة: هي نَعْرة فئويَّة تشدُّ الفرد للولاء للجماعة، أو للحزب، أو للفئة، أو للحركة، وهي تعمَد إلى تعطيل العدل والنقد والنزوع إلى السلطة الجامحة، والاستبداد المطلق.

وعليه فإن التَّعَصُّب الحزبي ظاهرة ترافق الأحزاب الفكريَّة المختلفة الاتجاهات والنَّعرات، سواء أكانت هذه الأحزاب سياسيَّة، أو دينيَّة، أو لا دينيَّة (علمانيَّة، ليبراليَّة، شيوعيَّة، نصرانيَّة)، أو ذات توجُّهات عسكريَّة، تربِّي الأفراد على الولاء للحزب أو التنظيم والحركة على حساب الثوابت، وعلى حساب الدين.

• وللتدليل على ذلك فإن عددًا من الأحزاب اليمينيَّة المتطرفة، مثل: (الحزب النازي سابقًا "هتلر ـ ألمانيا" ــ الحزب النازي الإيطالي

سابقًا "موسليني" - الأحزاب الدينيَّة الصهيونيَّة "المفدال ـ مولديت سابقًا، الليكود، العمل، وجميع الأحزاب الصهيونيَّة"... إلخ)، والأحزاب المتطرِّفة في بعض بلادنا العربيَّة والمستبدَّة والفاسدة سابقًا وحاليًا، مثل: (حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق وسوريًّا، والأحزاب الناصريَّة الاشتراكيَّة)، التي انتشرت كالسرطان في ربوع الأمة العربيَّة والإسلاميَّة، وكذلك (الحزب الديمقراطي)، الذي كان أداة للاستبداد والتحكُّم في مقادير البلاد والعباد، وإدارة الفساد، ونهب ثروات البلاد، على حساب ثوابت الإسلام، وكان سِلمًا على أعداء الدين، حتى صار كنزًا استراتيجيًّا لأعداء الملة والدين، وكذلك الأحزاب الليبراليَّة والعلمانيَّة والشيوعيَّة، التي اجتمعت تحت لواء واحد باختلاف توجُّهاتها، ولكنهم توحَّدوا على خصم واحد، ألا وهو الحق، وإزاحة الإسلام عن الحكم بكل ما يملِكون من قوة ومال وإعلام وعمالة، ظنًّا منهم أن الأحزاب التي تنتمي للحركات الإسلاميَّة تستطيع تحكيم شرع الله تعالى، فضيَّقوا عليهم، واجتمعوا عليهم تحت لواء واحد، واستغلوا الشباب وأوغلوا فيهم الكره للجماعات الإسلاميَّة لإقصائهم عن الحكم، إما بالتشويه، أو بإبغاض

الشعب لهم تارة، وبثِّ الشائعات تارة أخرى، أو باستخدام المولوتوف في التخريب والحضِّ على القتل، ونشر الإرهاب والفوضى وعدم الاستقرار، وضرب الاقتصاد، مستغلِّين أدوات إعلاميَّة وخارجيَّة، وعربيَّة، ومستغلِّين أيضًا الفاسدين في مؤسَّسات الدولة، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

* * *

• الأسباب التي تساعد على التطرُّف (التَّعَصُّب) الحزبي:

إن هذه الظاهرة الشائنة (ظاهرة التطرف الحزبي) تستند إلى جملة من العوامل والأسباب التي تشكِّل بمجموعها التربة الخصبة لتنامي هذه الظاهرة، ومنها:

١ـ الفكر المغلَق: أي الفكر غير القابل للتطوُّر، والذي لا يأخذ الواقع ببُعْدَيْه الزماني والمكاني بعين الاعتبار، وتكون الإرادة فيه هي المحرِّك الوحيد لتوجهات هذا الحزب أو الحركة أو التنظيم، وهذا الانغلاق الفكري يقود إلى التطرف السياسي والتنظيمي، يمينًا ويسارًا، كما أن هذا الفكر أحادي الجانب لا يعترف بالآخر، وإن اعترف فيكون اعترافه لفظًا ليس إلا.

٢- غياب الشورى، والاعتماد على الديمقراطيَّة الغربيَّة:

إن القوى والأحزاب والتنظيمات التي لا تعتمد الشورى الإسلاميَّة والشريعة الربانيَّة منهجًا وسلوكًا وممارسة في حياتها التنظيميَّة، إنما تدفع المنتسبين لهذا الحزب إلى الانغلاق والتَّعَصُّب، وتَحُلُّ القيم والمفاهيم الاستبداديَّة محلَّ القيم الشرعيَّة، كما أن عدم الاطلاع على الآخر، وعدم تنوع المصادر الفكريَّة وضبطها بالضوابط الشرعيَّة، والاقتصار على رؤية أحاديَّة الجانب، إنما يوفِّر التربة الخصبة للتعصُّب الحزبي، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ (الأنعام)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (الروم).

٣- تغليب الخاصِّ على العامِّ: أي تغليب المصلحة الضيِّقة على المصلحة العامَّة، وبذلك يكون الحزب أو الحركة أو التنظيم هو الهدف وليس الوسيلة كما يزعمون على المذهب الميكافيلي، وبالتالي هنا تغيب الأولويَّات، حيث تحل العصَبيَّة الضيقة محل المصلحة العليا؛ الأمر الذي يلحق أفدح الضَّرر بالشريعة والوطن.

إن العصبويَّة الحزبيَّة ومن خلال القيادة تحوِّل الحزب والسلوك الحزبي بخلاف الأيديولوجيا التي تنادي بها (يقولون مالا يفعلون، ويفعلون ما لا يقولون)، حيث إن الحزب أو الحركة يرفع جملة من الشعارات أثناء حملته الانتخابيَّة، ويمارس نقيضها عندما يصل إلى السلطة بحيث تصبح هي الهدف المنشود، والغايَة المرادة.

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الجاثية).

٤ـ عدم تقبُّل النَّقد: إن العصبويَّة الحزبيَّة والحركيَّة والتنظيميَّة لا تقبل الصراحة، ولا تجسِّد النقد، بل تخشاه وتعمل على محاربته، "لماذا ننشر غسيلنا على حبال الآخرين"، فهؤلاء مآلهم الخسران.

٥ـ الإعلام العصبويّ: بما أن الإعلام يلعب دورًا هامًّا في حياة الشعوب والأحزاب والقوى، لذلك فإن التنظيمات والأحزاب والحركات العصبويَّة تسعى إلى امتلاك وسائل الإعلام لتحقيق أهدافها وتوجُّهاتها العصبويَّة الضيِّقة، لذلك نرى الإعلام في هذه الحالة يبتعد كل الابتعاد عن الحقيقة، ويعمل وفق نظام قيم التفاضل، ويصبح بوقًا

لخدمة التنظيم أو الحزب، فتراه يبثُّ سمومًا وأحقادًا، وفتنًا، ويزيِّف الحقائق، وينشر الأكاذيب، بحيث يصبح مصدرًا من مصادر الإلهام لهذا التنظيم أو الحركة.

* * *

۞ المطلب السابع: آثار الحَمِيَّة على الفرد والمجتمع:

للحَمِيَّة والعصَبيَّة آثار وأضرار، اهتم القرآن الكريم بعلاجها وبإظهارها، وبالتحذير منها، وبيان خطورتها على الفرد والمجتمع المسلم، ولولا هذه الآثار ما حارب رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الظاهرةَ وعالجها.

وهذه الآثار والأضرار لها أشكال وصور في القديم والحاضر والمستقبل، ومنها:

• أن الحَمِيَّة للرأي والعصَبيَّة للحزب قديمة بقدم البشر، وأول من تعصَّب لرأيه إبليس -عليه لعنة الله-، وورد ذلك في القرآن الكريم في أكثر من موطن:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ (الحجر).

وقال سبحانه: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ (ص).

فأظهر إبليس أن الذي حمله على الكفر بالله -كفر الإباء والاستكبار- هو تحزُّبه، وتعصُّبه لجنسه، قال: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾.

وإن المدقِّق في كلام الله سبحانه وتعالى، يعرف أن أممًا هلكوا بسبب الحَمِيَّة والعصَبيَّة المذمومة لقومهم ولأحبارهم ورهبانهم، حتى أوصلهم ذلك التحزب والتَّعَصُّب، إلى أنهم عبدوهم من دون الله، كما فعل اليهود، فنتج عن تلك الحَمِيَّة والعصَبيَّة تقديسٌ لغير الله سبحانه. قال الله ﷻ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾(التوبة).

• وأن الحَمِيَّة والعصَبيَّة الحزبيَّة والقوميَّة سبب في معاداة الأنبياء

والرسل. انظر إلى ما أخبر به سبحانه وتعالى عن قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ (العنكبوت).

وفي هذا الزمن الطويل، ومع ما أبانه الله سبحانه وتعالى من حكمة نوح، وتنوُّع دعوته لقومه، ليلًا ونهارًا، سرًّا وجِهارًا، وبشتى الأساليب، إلا أن قوم نوح لم تسمح لهم العصَبيَّة الحزبيَّة باتِّباع ذلك الحق، الذي أرسل الله به رسوله، وبقوا كما ذكر الله عنهم: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ (نوح).

• وانظر وجه التَّعَصُّب والحَمِيَّة والتحزُّب للأحجار والأصنام: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ (نوح).

ومع هذه الدعوة الطويلة: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ (هود)، لتعلموا ضرر الحميَّة، وأن الحَمِيَّة قد تؤدِّي بصاحبها إلى أضرار

جسيمة دنيويَّة وأخرويَّة.

• وهذا نبيُّ الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، يقول الله تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ (هود).

ما الذي حملهم على الكفر بالله سبحانه وتعالى؟ إنها العصَبيَّة والحَمِيَّة الحزبيَّة والقبليَّة، لما كان يعبد آباؤهم، ولطريقة آبائهم.

• وهذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أول لحظة في بعثته المباركة وهو يربِّي ويؤدِّب أصحابه على البُعْد عن هذا المرض الفتَّاك، ففي الصحيحين من حديث أبي سفيان صخر بن حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حين سأله هرقل: ما يأمركم؟ قال: [**يَقُولُ: اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ**][1].

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٧).

وحين هاجرَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخَى بين المهاجرين والأنصار، ليقضيَ على العصَبيَّة والحَمِيَّة الجاهليَّة، فلما قال المهاجريُّ: يا للمهاجرين، وقال بعض الأنصار: يا للأنصار، غضِب رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك، وقال: [**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**](١).

• فهذه العصَبيَّة والحَمِيَّة الحزبيَّة مُنتِنة، ولقد فاح نَتَنُها وضررُها على المسلمين، وتفشَّى ضررُها على المسلمين، ونحن ما نصرخ منها إلا لمرضها الدِّيني والدنيوي، فإنه مرض فتَّاك، فرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطب يوم عرفة، وقال: [**أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ**](٢). فألغَى تلك الدماء التي كانت في الجاهليَّة، وأهدرها لما يتوقع من العصَبيَّة، حتى لا يأتي إنسان في الإسلام فيقول: فلان قتل جدِّي في الجاهليَّة، فيجد نفسه عليه، فألغاها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حفاظًا على سلامة القلوب، وتجنُّبًا لما يثير الشحناء والبغضاء، والغلَّ والحقد والحسد، كما هو شأن الحزبيَّة العصَبيَّة والحَمِيَّة الجاهليَّة.

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٤٩٠٧)، ومسلم، ح (٢٥٨٤).
(٢) أخرجه مسلم، ح (١٢١٨).

• وانظر تحزُّب قوم نبيِّ الله شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال الله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ (هود).

لقد أجابوا بسخرية واستهزاء ذلك العظيم الكريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، بسبب العصَبيَّة الحزبيَّة لقومهم.

• وهكذا كان فرعون ينفخ في قومه بالعصَبيَّة الحزبيَّة والحَمِيَّة الجاهليَّة: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ

﴿٥٦﴾ ﴾ (الزخرف).

وقد أغرقهم الله ﷻ كلَّهم، بسبب تعصُّبهم ضدَّ الحق وأهله:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (الأعراف).

وانظر كيف عصَّبهم وعصَّبوه، وحزَّبهم وحزَّبوه، ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾، وابتعدوا عن دين الله، بسبب الحزبيَّة العصَبيَّة.

• وقد ذمَّ الله المنافقين وأنزل سورة كاملة فيهم ـ سورة المنافقون ـ وفي تلك السورة يحكي سبحانه عن عصَبيَّة أولئك النَّتْنَى، من ابن سلول وجماعته: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المنافقون).

• طمس الله بصائرهم بسبب عصبيَّتهم، فقد حقَّروا من شأن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن معه من الصحابة وأفاضلهم.

• إن العصَبيَّة لا تعرف معروفًا ولا تنكِر منكرًا، ولا تعرف لذي فضل فضله، وإن من كان معهم فهو المقرَّب، ومن ابتعد عنهم أو حذَّر منهم فهو المبغوض عندهم، ففيها تحقير لما عظَّم الله، وتعظيم لما حقَّر الله، ومما تتضمَّنه الحزبيَّة الدعوة الجاهليَّة العصَبيَّة، وقد قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَدْعُو عَصَبِيَّةً، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**](١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنْ عَمْرَو بْنَ أُقَيْشٍ، كَانَ لَهُ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُسْلِمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمُ أُحُدٍ، فَقَالَ: أَيْنَ بَنُو عَمِّي؟ قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: فَأَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ وَرَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ، قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو، قَالَ: إِنِّي قَدْ آمَنْتُ، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ، فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ جَرِيحًا، فَجَاءَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لِأُخْتِهِ: سَلِيهِ حَمِيَّةً لِقَوْمِكَ، أَوْ غَضَبًا لَهُمْ أَمْ غَضَبًا لله؟ فَقَالَ: بَلْ غَضَبًا لله وَلِرَسُولِهِ، فَمَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَا صَلَّى لله صَلَاةً »(٢).

---

(١) أخرجه مسلم، ح (١٨٥٠).

(٢) أخرجه أبو داود، ح (٢٥٣٧)، والحاكم، ح (٢٥٣٣)، وحسَّنه الألباني.

• ورأينا أن الذي يقاتل الكفار والمشركين لغير إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، ويكون قتاله تعصُّبًا وتحزُّبًا وحَمِيَّة، فإن قتاله ذلك يكون ضررًا عليه، وهو من أول مَن تسعَّر بهم النار يوم القيامة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [... **وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ**]، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ: [**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ**][(١)].

فاحذَرْ، حتى وإن كنت سالًّا سيفَك أو سلاحَك على الكفار، احذر أن تطرأ عليك العصَبيَّة الحزبيَّة، وحَمِيَّة الجاهليَّة لقومك أو لجماعتك أو لحزبك أو لحركتك أو لشيخك، فتصرفها لغير الله تعالى، فتهلك بذلك، وكن من أنصار الله، قال سبحانه: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا**

(١) أخرجه الترمذي، وقال: حسن غريب.

كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ (الصف)، وقال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾ (المجادلة).

ليس هناك إلا فريقان: فريق متمثِّل في حزب الله سبحانه، وفريق آخر مخالف متعصِّب لهواه، ولفرقته ولشيخه، متمثِّلٌ في حزب الشيطان.

* * *

• إن من أضرار هذه الحَمِيَّة والقوميَّة والحركيَّة والعصَبيَّة الحزبيَّة: تفرقة المسلمين وتمزيق وحدتهم، وربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ (الأنبياء).

هذه الأمة واحدة، كتابها واحد، قبلتها واحدة، نبيُّها ورسولها واحد، دعوتها واحدة، هجمت عليهم الحَمِيَّة والعصَبيَّة الحزبيَّة، وجعلتهم شذَر مذَر، وألقت في قلوبهم العداوة والبغضاء لمن تمسك بكتاب الله، وسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه أن النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: [تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى

الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ](١).

فاسأل نفسك أين قلبُك من هذين الموضعين ؟!

• إن العصَبيَّة والحَمِيَّة القوميَّة هي التي أهلكت اليهود بعد أن عرفوا رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يعرفون أبناءهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ (البقرة).

فإن عناد الحَمِيَّة، والعصَبيَّة والقوميَّة جعلهم يكفرون بالله سبحانه وتعالى، ولا ينصاعون ولا ينقادون للحق.

* * *

(١) أخرجه مسلم، ح (١٤٤).

• ومن أضرار الحَمِيَّة والعصَبيَّة للجماعة والحزب والقوميَّة والشيخ: عدم العدل والإنصاف، فإنك تجد المتعصِّب مسلِّطًا سلطته ومكانته ومنصبه وكيانه وفكرته، لنصرة جماعته أو حزبه أو حركته أو شيخه أو فرقته، ومن كان معه على شاكلته، وهذا اتِّباع للهوى، وليس اتِّباعًا للحق، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ (ص).

ويقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الجاثية).

فما بال المسلمين الآن؟! أمرهم الله أن يكونوا أمة واحدة، حيث يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ (آل عمران:١٠٣). بينما المتعصِّبون يقولون: تفرَّقوا.

والله يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (المائدة: ٢)، ولسان حال الحَمِيَّة تقول: تعاوَنْ مع كل من كان معك، ولو كان يهوديًّا أو نصرانيًّا أو بوذيًّا أو هندوسيًّا أو اشتراكيًّا. أو غير ذلك.

والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، والحَمِيَّة لسان حالها يقول: ألف أمة، أو ألفان، أو ثلاثة آلاف، أو أكثر أو أقل، كل واحد يصبُّ جهدَه لمن كان معه، لا يعرف قدرًا للمتمسِّك بالكتاب والسنة، وينكر هذا الضلال الباطل.

• الحَمِيَّة فيها إلغاء الوَلاء والبَراء الصحيح، وتمزيق المسلمين: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (الروم).

علامَ يا عبادَ الله تقلِّدون اليهود والنصارى؟ وتتركون ما أمركم الله ﷻ، وتنصِبون العداء لمن قال: هذا حرام، وهذا حلال، ومن نصح لكم رحمة ورفقًا.

لماذا تجنِّدون المساجد والمنابر لمن كان في حزبكم أو جماعتكم أو شيخكم أو رأيكم!، وتنأَوْن عمن يقول: قال الله، قال رسول الله ؟!.

ما هذا التضييق على المسلمين، وعلى المتمسِّكين بما كان عليه الصدر الأول، وعلى ما كان عليه النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ (البروج)

لا تضيقوا عليهم، وهم يقولون: قال الله، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالصوفيّ ينصِب لهم العداء، ويتحزَّب لفكره ولتصوُّفه، والرافضيُّ ينصِب لهم العداء، ويتحزَّب لفكره ولرفضه، والتابع لجماعة معينة ينصِب لهم العداء، ويتحزَّب ويتعصَّب لجماعته ولفكره، وينصِب نفسه حَكَمًا على الناس، ينهش في لحومهم - ولحوم العلماء مسمومة - تارة بتبديعهم، وتارة بالحكم عليهم بأنهم خوارج، وتارة أخرى برميهم بأنهم تكفيريون، كل ذلك من أجل أنهم يقولون: قال الله، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فاتقوا الله أيها المسلمون، أين الولاء للحق؟ ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ (التوبة).

أأنت ترغب في هذه المحامد، وترغب أن تبتعد عن هذا الخير من أجل العصَبيَّة، ومن أجل فلان، أو علَّان، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ

﴿ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ (البقرة)، ألا تخشى على نفسك من أن تكون من هؤلاء الذين يتبرأ كل منهم من الآخر بسبب الاتِّباع ؟!.

• هكذا يقول سبحانه وتعالى، فانتبه أيها المسلم، عليك بالولاء لله ولكتابه ولرسوله وللمؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ (المائدة: ٥٤).

ما صفات هؤلاء المحبوبين إلى الله؟ قال: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ والحَمِيَّة والعصَبيَّة تلغي هذا الجانب، جانب المحبة في الله، إلا لمن كان في صفهم، وفي جماعتهم وحزبهم ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ (الأنفال).

• فالحَمِيَّة والعصَبيَّة جعلت كل واحد يخدِم فكره، لا يخدم الدين

الحق خدمة صحيحة كما أراد الله سبحانه، وحتى أيضًا لا يخدم الأمة كما يقول لوجه الله تعالى، إذا ولَّاه الله وظيفة خدميَّة للناس، فهو بذلك إنسان حكوميٌّ، إذا دخلت عليه فكرة التحزُّب خَرَّبَ، فلا يصير حاكمًا كما أراد الله، بل يصير حاكمًا كما أرادت الحزبيَّة، إلا من رحم الله ﷻ، فالحَمِيَّة الحزبيَّة ضد ما أراد الله سبحانه وتعالى لعباده.

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **[مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى]**(١).

وقال أيضًا: **[مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ]**(٢)، الحَمِيَّة والعصَبيَّة الحزبيَّة ضدَّ ذلك، ينفِّس عن حزبه، وصاحب حزبه، ما هو عن سائر المؤمنين، لا هذا من جماعة كذا أو حزب كذا.

---

(١) أخرجه مسلم، ح (٢٥٨٥).

(٢) أخرجه البخاري، ح (٦٠١١)، ومسلم، ح (٢٥٨٦).

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ (الحجرات).

والنبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: [إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا]، وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ(١)، هذه كلها ضعيفة هزيلة عند المتعصِّبين، وتكاد تكون منقرضة منصرمة من واحد إلى آخر، لكن خللًا عظيمًا حاصل فيها في هذه الجوانب عند من تعصَّب.

• **ما سبب موت أبي طالب ؟**

يعرف كل مسلم موت أبي طالب على الكفر بالله، بسبب العصَبيَّة والحَمِيَّة لدين مشركي قريش، بل وقريش مات كثير منهم على الشرك بالله بسبب العصَبيَّة لأصنامهم، ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ (ص).

ينطلقون إلى الأحجار والأوثان: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٤٨١)، ومسلم، ح (٢٥٨٥).

كذَّبوا رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واعتبروه مختلِقًا للأقاويل، بسبب العصَبيَّة للأحجار والحَمِيَّة للأصنام.

ويقول النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمِّه: [**أَيْ عَمِّ، قُلْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**] فيأتي أبو جهل بن هشام، وينفخ فيه بالحزبيَّة العصَبيَّة، ويقول له: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟(١)، وكان آخر كلام أبي طالب أن مات على العصَبيَّة، وكان من أهل النار، قال المسيِّب بن حزن كما في الصحيحين: كان آخر كلامه أن مات على ملة عبد المطلب، وأبَى أن يقول (لا إله إلا الله).

عَنِ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: [**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**](٢).

• فيا معشر المسلمين نزِّهوا أنفسكم، وادعوا الله أن يُعينكم على أنفسكم بالتجرُّد للحق، ولنصرة أهله، وللبعد عن العصَبيَّة الحزبيَّة التي هلكت بها الأمم، والتي هي سنة جاهليَّة إبليسيَّة يهوديَّة، تضيِّق

---

(١) أخرجه البخاري، ح (١٣٦٠)، ومسلم، ح (٢٤).
(٢) أخرجه البخاري، ح (٣٨٨٣)، ومسلم، ح (٢٠٩).

جانب الولاء والبَراء، وتضعف جانب المحبة لله سبحانه وتعالى، والحزبيَّة في بلادنا، تفرِّق ولا تجمِّع، في حين أن أعداءنا يتكتَّلون ويجتمعون !.

• الحَمِيَّة تسبِّب العداء لأولياء الله، والنبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول فيما يرويه عن ربِّه عَزَّ وَجَلَّ: [**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**][(١)].

والوليُّ كل مؤمنٍ تقيٍّ ﴿**أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾**﴾(يونس)، فإياك أخي أن تنصب العداء لإخوانك المسلمين، فإنه لا قدرة لك على معاداة الله الذي يدافع عن أوليائه المؤمنين ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ**

(١) أخرجه البخاري، ح (٦٥٠٢).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ (الحج).

سواء كان التحزُّب عصبيًّا، أو قبليًّا، أو قوميًّا.

وانظروا إلى التَّعَصُّب المذهبيِّ، كيف يحقِر أحدهم الآخر ؟

يروي بعضهم حديث: « يخرج من أمتي رجل يقال له: محمد بن إدريس، أضر على أمتي من إبليس، وأبو حنيفة سراج أمتي »، وهو حديث موضوع مكذوب على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فيكذبون على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من أجل أن ينفِّروا الناس من الشافعيِّ، ويحبِّبوا إليهم أبا حنيفة، رحمهم الله.

وآخر يقول:

أنا شافعيٌّ ما حَيِيتُ وإنْ أَمُتْ فوَصِيَّتِي للناسِ أن يتشفَّعُوا

والإمام الشافعيُّ نفسُه يقول: « إذا قلت قولًا يخالف الحديث، فاعلموا أني راجع عنه في حياتي وبعد مماتي »، وكان البيهقي رَحِمَهُٱللَّهُ عليه مع كونه شافعي المذهب إلا أنه كان يحثُّ الناسَ على اتِّباع كتاب الله، وسنة رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۗ

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ (الأعراف).

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر:٧).

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ (النور).

وهكذا قال الحنفيُّ:

فلعنةُ ربِّنا عِدادَ رَمْلِ ... علَى مَن خالَفَ قولَ أبي حَنيفَة

وهذا أبو إسماعيل الهرويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول:

أنا حَنبَلِيٌّ ما حَييتُ وإنْ أمُتْ ... فوَصِيَّتي للناسِ أن يَتَحنْبَلُوا

وبعضهم يقول: « لولا مالك لكان الدين هالك ». والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ (الحجر).

فتمسَّكوا بالكتاب والسنَّة يا أمَّة محمَّد، واجتمعوا عليهما، بفهم أصحاب النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين سَدَّدَ الوحي أخطاءهم، وتُوفِّي عنهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو راضٍ عنهم، والله عنهم راضٍ، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(المائدة:٣)، فنسب الدِّين إليهم، رضوان

الله عليهم، ومن سلك مسلكهم.

• وقد رُوِيَ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: [... **وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**]، **قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: [مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي]**(١).

فمن يرغَب عن هذا الخير إلا من سَفِه نفسه، وحرم نفسَه الرشَد، فهذه العصَبيَّة والحَمِيَّة الحزبيَّة الضيِّقة، ألغت ما أراده الله سبحانه وتعالى من الاجتماع والتآخي والتحابب على هديه وسنة رسوله.

• أيها الناس! أما تدركون الفتنة في هذه الحزبيَّة؟ من حصول الضغائن، ومن ضيق الصدور، ومن العداوة والبغضاء التي أرادها الشيطان، إن تفرقكم هذا من الشيطان، فالله أمر بالاعتصام بكتابه وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمةً بنا، ورسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حثَّ على ذلك في سنته فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا: يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ**

(١) أخرجه الترمذي، ح (٢٦٤١)، وقال: حديث مفسَّر غريب، وحسَّنه الألباني.

أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ](١)،

فامتثِلوا أمر الله وأمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلقد رأينا ورأيتم النكَد والتعاسَة، والبغضاء والشحناء، والفرقة والفتنة بين المسلمين، كما أخبر الله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الأنفال).

وأنتم إن لم تكونوا بعضكم أولياء بعض، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، فليحذر امرؤٌ على نفسه، ولا يكن متأسِّيًا بإبليس، ولا بأهل الجاهليَّة، ولا بآزر ولا بأبي طالب، ولا يضعف عنده جانب الولاء والبَراء، فإن هذا يدل على ضعف الإيمان، ويجب على المسلم أن يتقيَ الله تعالى.

• ومن صور التحزُّب والتعصُّب البغيض ما فعله الرافضة المنتمون في أصولهم إلى اليهود وأفكارهم، عندما ناصروا التتار ضد المسلمين؛ مما أدى إلى تسلُّطهم على بلاد الإسلام، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيميَة فيهم: « فَإِنَّهُمْ أَعْظَمُ ذَوِي الْأَهْوَاءِ جَهْلًا وَظُلْمًا

(١) أخرجه أحمد، ح (٨٧٩٩)، بإسناد صحيح، وهو عند مسلم بنحوه، ح (١٧١٥).

يُعَادُونَ خِيَارَ أَوْلِيَاءِ اللهِ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّينَ، مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ... وَيُوَالُونَ الْكُفَّارَ، وَالْمُنَافِقِينَ مِنَ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى، وَالْمُشْرِكِينَ، وَأَصْنَافِ الْمُلْحِدِينَ كَالنُّصَيْرِيَّةِ، وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الضَّالِّينَ، فَتَجِدُهُمْ، أَوْ كَثِيرًا مِنْهُمْ إِذَا اخْتَصَمَ خَصْمَانِ فِي رَبِّهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ، وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِيمَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ... تَجِدُهُمْ يُعَاوِنُونَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَهْلَ الْكِتَابِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَهْلِ الْقُرْآنِ »(١).

هذا والله نصح لله ولرسوله وللمؤمنين أن يتقوا الله، وأن يتخلَّصوا من الحزبيَّة، هذا الإثم الموبق، ومن ابتلي بالحزبيَّة، فلا يجمع إليها الجور، وعدم العدل. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ (النحل: ٩٠).

ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْ﴾ (الأنعام: ١٥٢).

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ

(١) منهاج السنة النبوية (١/ ٢٠).

لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ (النساء)، فالله خبيرٌ بأعمال العباد.

وما مِنْ يَـدٍ إلا يَدُ اللهِ فوقَهـا ولا ظالمٍ إلا سيُبْـلَى بِظـالِـمِ

ويقول سبحانه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (الأنعام).

إنه الهوى الذي حمل المأمون على سجن الإمام أحمد وأذيته، وأذيَّة المسلمين، والقتل والتشريد، وغير ذلك مما حصل بأصحاب المنهج الحق، لما تسلط عليه ابن أبي دؤاد، بالفكر الجهمي، حتى حمل المأمونُ الأمةَ جميعًا على القول بخلق القرآن، وأن من لم يقل بخلق القرآن إما أن يُسجَن أو يُقتَل، وحصلت فتنة عظيمة في ذلك الزمن، ولم يثبت في ذلك الزمن إلا الإمام أحمد، فقد حفظ الله هذا الدين باثنين، بأبي بكر في الردَّة، والإمام أحمد في المحنة.

• ولا يثبت أمام الأباطيل والمنكرات إلا من تجرَّد للحقِّ، وردَّ الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو القائل: ﴿فَإِن

﴿تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ (النساء).

بسبب الحزبيَّة، صار هذا يدعو لفكره، وهذا يدعو لفكره، وكانوا سببًا للفشل والضعف بالمسلمين، والله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْ﴾(الأنفال: ٤٦).

* * *

وكلُّ ما سبق ذكره رأينا حصاده في مصر هذه الأيام، فإنك إذا نظرت إلى كل مؤسَّسات الدولة تجد العصَبيَّة والحَمِيَّة.. إذا نظرت إلى القضاة تجدهم شُغِلوا بالسياسة بعيدًا عن العدالة، وأصدروا أحكامًا قضائيَّة حَمِيَّة وعصَبيَّة، تراهم إذا أحيل إليهم المتهم الشريف من غير الإسلاميِّين أكرموه وأخلَوْا سبيله، ولو كان مجرمًا متلبِّسًا بجُرمه برَّؤوه وأخرجوه، وإن كان ينتمي لأهل العلم أو للشباب الصالح حاكموه!! فلعنة الله على العصَبيَّة والحَمِيَّة التي اقتحمت حتى مقر العدالة الذي يردُّ الحقوق إلى أصحابها.

وكذلك إذا نظرت إلى وسائل الإعلام المناهضة للإسلام تصارع

وتحارب دين الله عصَبيَّة وحَمِيَّة لاستعادة مجدهم القديم، فيعملون لصالح أعداء الإسلام، وإذا طلب منهم أن يدمِّروا البلاد دمَّروها لأجل مصالحهم، وحربهم على الإسلام والمسلمين، فتجدهم يقومون بما يسمَّى ببرامج (التوك شو)، وبرامج السخرية، فيسخرون من العلماء وطلاب العلم، ومن الإسلام والمسلمين، ومن شعائر المسلمين، ودائمًا ما تجدهم يشاركون النصارى أعيادهم في كنائسهم، ويمجِّدون قساوستهم، بل تجد منهم من يدافع عن بوذا، ومنهم أيضًا من يحرِّف ويزوِّر التاريخ، فتجدهم بسبب حميَّتهم وعصَبيَّتهم على الإسلام يصورون الإسلاميين للناس أنهم إرهابيون ومتشددون ومتخلفون ورجعيُّون، وتجار دين، وغير ذلك من المصطلحات الزائفة، ويصورون المجرمين على أنهم أبطال وثوار ورجال وضحايا، والضحيَّة من الطرف المخالف لهم، فهو المجرم وهو القاتل، والمقتول منهم يستحقُّ القتل، فهؤلاء بلغ من عصبيَّتهم أنهم حوَّلوا العدو لصديق، والصديق لعدو، كحرصهم دائمًا على أن يصوروا أهلنا وإخواننا المحاصرين في غزة على أنهم إرهابيون، ويريدون أن يسيطروا على خيراتنا ويحتلوا بلادنا، ويتجاهلون اليهود، ولا

يذكرون اليهود بسوء، فلعنة الله على الحَمِيَّة والعصَبيَّة التي تحرق البلاد والعباد.

حتى بين الأحزاب الإسلاميَّة بينها وبين بعضها، وكلنا نرى الصراعات التي تمكَّنت منهم وأفسدت قلوبهم، بل وقسَّمت الناس وأوغلت صدورهم بالحقد والغِلِّ، والحَمِيَّة والعصَبيَّة، التي تراها من الأحزاب المعاديَة للإسلام والمسلمين، وللأسف الشديد ترى المسلمين يقطِّع بعضهم البعض أمام الناس، حتى خيَّبوا ظنهم، بل وترى أحزابًا منهم تسير في ركب أحزاب معاديَة للإسلام، وتسعى في الأرض فسادًا، ويستدلون لأفعالهم بأدلة من القرآن والسنة ومن السيرة النبويَّة تتوافق مع أهوائهم وحميَّتهم، حتى يستحسن الأتباع والعوام أفعالهم، وإذا تصفَّحت الشبكة العنكبوتيَّة تجدهم يختلفون اختلافًا شديدًا يصل إلى السبِّ والشَّتْم والتشهير، وكل شاب يعتبر حزبه وجماعته هو مصدر الحق الوحيد، وترى فريقًا آخر يقلِّد شيخه تقليدًا أعمى، ويرفع الشيخَ فوق الدليل وفوق النصوص، تعصُّبًا وحَمِيَّة له، وكلما بدَّع شيخُه الحزبيِّين بدَّعهم، ويسيئون الأدب مع أهل العلم والعلماء بلا علم ولا دليل، ولكن دليله هو التعصُّب لشيخه

والحَمِيَّة لهواه.

بل يصل الأمر إلى أن بعض الدعاة يخرج عن النقاش العلمي والردود العلميَّة، ويجرح ويتكلم في ذمَّة المخالف، وفي عرضه، على قناة خصَّصها لنفسه، يسبُّ أهل العلم وينتقص منهم، ومن المخالفين له، فويل لأمثال هؤلاء الذين لا يتورَّعون عن الكلام في أعراض العلماء، وعموم المسلمين.

وإذا سِرْتَ في طريق ترى الناس تعلو أصواتهم بعضهم على بعض، يتكلمون في السياسة، حتى أنساهم الشيطان وأنستهم الحَمِيَّة والعصَبيَّة ذكر الله تعالى، وصار الصراع في كل مكان يدمِّر الأمة، وينهش في جسدها، ويدمِّر اقتصادها ومكتسباتها، أسأل الله أن يصلح البلاد والعباد.

* * *

ونجمل ما سبق من تفصيل لأضرار التَّعَصُّب والحَمِيَّة، وآثاره السيئة على الفرد والمجتمع في النقاط التالية:

١ـ ضعف الإيمان والولاء لله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين.

٢ـ الوقوع في الظلم، لأن المتعصِّب يستبيح حقوق الآخرين.

٣ـ ازدراء المؤمنين، ونقيصتهم، والحطُّ من قدرهم.

٤ـ حصول الفخر والكبر والخيلاء.

٥ـ تحقق العداوة والبغضاء بين المسلمين.

٦ـ نشوب الفتن وتعطيل مصالح الأمة الكبرى.

٧ـ إن أخطر ما يكرِّس التَّعَصُّب لدى الشباب، ويُربيه عليه لغة الأسرة، وثقافة البيت، وتربية المجتمع والفئة والجماعة والنخبة والإعلام، ومن المؤسف أيضًا أنك ترى بعض أولياء الأمور المتعلِّمين أكاديميًّا، يربِّي ولده على التفاخر في الأمجاد، وانتقاص الناس والطعن فيهم، حتى صار بعض أبنائنا يعيش مع هذه المبادئ والأفكار والمعتقدات، ويتعامل بها مع الآخرين وفق كل ذلك، ولا يستطيع أن يتخلص منه في غالب الأحوال، لأنه يتشرَّبه ويَشِبُّ ويَشِيبُ عليه، والمعصوم من عصمه الله تعالى.

٨ـ إن للتعصُّب الجاهليِّ دورًا رئيسيًّا في وقوع الفتن، ونشوب القتال الداخلي، والحروب الأهليَّة، والتاريخ والواقع يشهدان لكثير

من الأحداث، والفتن التي كانت العصَبيَّة تؤجِّجها وتُضرِم نارَها، حتى استغلَّ ذلك طائفة من الحكام على مرِّ التاريخ لأغراضهم السياسيَّة والمذهبيَّة، كما وقع في تاريخ الأندلس، وكما يقع في بلاد الثورات العربيَّة، مثل التدافع على السلطة الذي يجري بمصر من خصوم الإسلام.

٩- الانتماء الفقهي للمذاهب وغيرها، لما بلغ حدَّ التَّعَصُّب والغلوِّ، فوقع التدابر والتهاجر بين الأتباع، حتى وصل الأمر إلى الاختلاف والتقاتل والوشاية للحكام، وبلغ ذروته في القرنين الرابع والخامس الهِجْرِيَّيْنِ.

وقد كان الأئمَّة يحذِّرون من ذلك، ويذمُّون هذا المسلك ذمًّا شديدًا، كالذي يحدث الآن بين الجماعات الإسلاميَّة، والحركات والأحزاب الإسلاميَّة، وما يقع بين أبنائهم من تنابذ وتناحر، متلبِّسين ثياب الورع والتقوى والدين، ومعتقدين أن حركتهم أو حزبهم أو جماعتهم هي مصدر الحق الوحيد، وأنهم أعلم الناس بالشريعة وبالسنة.

١٠- ولا شك أن التَّعَصُّب اليوم يلعب دورًا سلبيًّا في إيجاد الفرص

الوظيفيَّة، واستحقاق الدرجة والرتبة في القطاع الخاص والعام، فترى الموظَّف المجتهد الكُفْءَ يُحرَم من الترقية والتقدير والحوافز، وفي المقابل فإن الموظف الكسول المقصِّر يمنَح أعلى الدرجات والأوسمة والثناء، بناء على التَّعَصُّب والنظرة العنصريَّة، وهذا أمر مشهور يعرفه كل منصف ومنتشر في جميع مؤسَّسات الدولة التنفيذيَّة والتشريعيَّة والقضائيَّة والمحليَّة والمجتمعيَّة، وهذا من علامات الساعة أن تضيع الأمانة، ويُوَسَّد الأمر لغير أهله.

* * *

• أمور ليست من التَّعَصُّب الجاهلي:

١ـ التمسُّك والاعتزاز بشِيَم وعادات المجتمع الحسنة، من كرم وجود، وشهامة، وحسن جوار، وغيره، والحفاظ على المحارم، وعلى القيم الفاضلة في المجتمع، لأن ذلك من مكارم الأخلاق التي صانها الشرع، ورغَّب فيها.

٢ـ الاعتناء بالأنساب، والمحافظة عليها، وضبطها وحفظها عن الضياع، لأن الشرع أمر بتعلم الأنساب لصلة الرحم، وغير ذلك من المصالح.

٣ـ طلب الكفاءة في النكاح، وتخيُّر الزوج الكفء للزوجة، من

حيث الديانة والخلق.

٤- الفخر والخيلاء بالعشيرة والبلد في موطن قتال الكفار ونصرة الدين، فهذا عمل حسن لأنه توظيف لهذه الغريزة في سبيل الله في موطن يحبه الله ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لما فيه من شَحْذِ الهِمَمِ، وإذكاء روح المنافسة بين العشائر وأهل الأمصار، فمصلحته راجحة، وقد كان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يشجِّع القبائل، ويعقِد ألْوِيَتَهم، ويُثنِي عليهم في الجهاد في سبيل الله.

***

• الحاصل أن التَّعَصُّب الجاهلي والحَمِيَّة الجاهليَّة بجميع أشكالها وصورها مذمومة شرعًا، وهو داء خطير خفيٌّ يصيب المؤمن في مقتله، ويحمله على الظلم والتعدي والصد عن سبيل الله، والإعراض عن اتِّباع الحق فيما يخالف الولاء، كما يصيب القلبَ بالحسد والرياء وسائر الأدواء.

والواجب على من ابتُلي بذلك أن يطهِّر قلبه من هذا الداء، ويداويه، ويتبرَّأ منه بالكليَّة، ليلقَى ربَّه موحِّدًا في ولائه لله ورسوله وطاعته لهما، خاليًا من القوادح والشُّبُهات.

۞ المطلب الثامن: علاج الحَمِيَّة الجاهليَّة:

يتلَّخص علاج العصَبيَّة والحَمِيَّة في النقاط التالية:

١ـ إحياء عبادة الإخاء والتراحم والتوادِّ بين المسلمين، ولما تيقَّن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أن الدول تبنَى على أكتاف رجال أوفياء أتقياء أنقياء إخوة متحابِّين في الله، كان أول لبنة أسَّس بها دولة الإسلام هي نزع العصَبيَّة والحَمِيَّة الجاهليَّة من قلوب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وحضَّ القرآن على تأليف قلوبهم، فقال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (الأنفال).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى](١).

٢ـ نبذ العنف، والدعوة إلى كفِّ الأذى عن المسلمين، وكفُّ الأذى يكون باليد وباللسان، بل وبالقلم، ككتابة ما يضرُّ المسلمين في

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٦٠١١)، ومسلم، ح (٢٥٨٦)..

صحف، وتصنيف الكتب في الطعن في المسلمين، والكلام في أعراضهم، وغير ذلك من الوسائل الإعلاميَّة المكتوبة.

فقد حرَصَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن يُظهِر أن كفَّ الأذى من كمال الإسلام، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**](١).

وقد نهى ربُّنا سبحانه وتعالى عن أمور الجاهليَّة والعصَبيَّة والحَمِيَّة والولاء المذموم.

٣- بناء الأمم لا يكون إلا بالتآخي والتعاون على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾**﴾ (المائدة).

فأيُّ إثم وعدوان أشدُّ من العصَبيَّة التي توصِلَ صاحبها إلى نشر الحقد والضغينة والثأر والتناحر بين الناس؟.

فها هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضع أول لبنة في بناء الدولة

---

(١) أخرجه البخاري، ح (١٠).

الإسلاميَّة في المدينة بالبيعة عند العقبة، وبالتآخي بين الأوس والخزرج، الذين كادوا أن يَفْنَوْا عن بكرة أبيهم في حروب متتابعة ومتتالية، كان آخرها حرب بُعاث، ثم بعد ذلك آخَى بين المهاجرين والأنصار، بل وورَّث بعضهم بعضًا، ورأينا أمثلة عظيمة - لا يتصوَّرها عقل - حدثت من الأنصار تجاه إخوانهم المهاجرين الذين تركوا الدار والأهل والأولاد، ولاءً لله تعالى، وبراءة من الكفر والشرك، ففتحوا لهم ديارهم، وعرضوا عليهم أموالهم بل وبيوتهم، وها هو سعد بن الربيع يعرض على عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نصف ماله ونصف داره وأجمل زوجيته، هل هذه النماذج يمكن أن تتكرَّر في زماننا؟! تالله لئن تكرَّرت لملكنا الدنيا وما فيها.

وقد قال تعالى فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ (الحشر).

٤- العمل على تصحيح عقيدة الولاء والبَراء، وصرفها لله ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللمؤمنين، فالعقيدة إذا صحَّت، صحَّ ما

جاء بعدها، وإذا فسدت فسد ما جاء بعدها، ولن يجعل الله تعالى التمكين لأمة توالي أعداء دينها، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ (آل عمران).

٥- إحياء عبادة الحب في الله والتراحم بيننا، قال تعالى في وصف أصحاب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩).

وقد حثَّ الإسلام على ذلك، فقد قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: [سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:... وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ،...] الحديث(١).

فالمحبة عمل قلبيٌّ، وهي معقِد العبوديَّة لله تعالى.

٦- يجب على المسلم أن يستقيم لله تعالى في عباداته وفي معاملاته مع الناس، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ

(١) أخرجه البخاري، ح (٦٦٠)، ومسلم، ح (١٠٣١).

﴿أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ (فصلت)، فالاستقامة هي تمام الدين، أوردها الله في أول سورة في القرآن الكريم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ (الفاتحة)، وأمر الله تعالى بها سيد المرسلين، بقوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ (هود)، فعلينا أن نتقيَ الله، ونستقيم كما أمرنا، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ (الملك).

فهل من يوظِّف عصَبيَّته وحميته لفكره، أو لهوى متَّبع، أو شيخ مطاع، أو لحزب أو جماعة أو تنظيم، يستوي في الاستقامة مع الذي صرف كل ذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى؟.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [اسْتَقِيمُوا، وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةَ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ](١).

فالقضيَّة الأولى بعد الإيمان بالله هي: الاستقامة.

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٢٢٣٧٨) وابن ماجه، ح (٢٧٧)، وغيرهما، وصحَّحه الألباني.

وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ الله الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [قُلْ رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ]، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟، فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: [هَذَا](١).

فعلى كل مسلم غيور على دينه يخشى ربَّه، ويَحذَرُ الآخرة، أن يستقيم على الطريقة المحمديَّة، بفهم الصحابة، خيرِ البريَّة بعد أصحاب الرسالات الربانيَّة.

قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ (الجن). فإن استقاموا على الطريقة رزقهم الله تعالى من فوقهم ومن تحتهم، وسقاهم ماءً غدقًا طيِّبًا ورزقًا حسنًا، وفتح الله تعالى عليهم بركات من السماء والأرض، لا بركات من الشرق والغرب بالقروض الربويَّة، والخضوع والركون إليهم ولهم.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾

---

(١) أخرجه أحمد، (١٥٤١٩)، وابن ماجه، (٣٩٧٢)، والترمذي، ح (٢٤١٠)، وقال: حسن صحيح. وأصله في صحيح مسلم، ح (٣٨).

(الأعراف).

٧ـ أن يتجنَّب المسلم حمل السلاح في وجه أخيه المسلم، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ](١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا](٢). لأن حمل السلاح في وجه أخيه ولو بالتهديد حرام.

ولا يحِلُّ دمُ الذميِّ الكتابيِّ إلا إذا كان محاربًا لنا، يقاتلنا في الدين، وعلى الأرض.

٨ـ محاسبة المرء نفسه، ومراجعته لحساباته وأهدافه، وأن يكون على حذر من الفتن من أن يكون سببًا فيها، أو سببًا في توهُّج نارها، فالفتنة ملعونة، ملعون كل من شارك فيها، وشجَّع عليها، قال تعالى: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ (التوبة).

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٦٨٧٨)، ومسلم، ح (١٦٧٦).
(٢) أخرجه البخاري، ح (٦٨٧٤)، ومسلم، ح (٩٨).

٩ـ أن يحدِّد كل واحد منَّا وجهته وإرادته، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة:١٤٨).

وقال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ (آل عمران: ١٥٢).

وقال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۝٧﴾ (الشورى).

فحدِّد هدفك، واسْمُ بغايتك، وما أعظم غايةً وراءها الجنة.

١٠ـ في وقت الفتن يكون المخرج منها بما يلي:

أ ـ عدم المشاركة فيها والالتزام بالبيوت.

ب ـ الاستنارة والاستشارة بتعليمات العلي الربانيَّة وقت الفتنة.

ج ـ الانشغال بالقرآن الكريم، وكثرة الذكر والدعاء، فهي أحراز قدريَّة من الفتن، وحفظ عشر آيات من سورة الكهف، فإنها تقي من فتنة الدجَّال.

د ـ عليك بخاصَّة نفسك ومن هو على شاكلتك، ولا تضيع وقتك في الخوض في أحاديث وسمر ليس وراءها إلا تضييع الأوقات والجهود.

هـ ـ عليك بالتفرقة بين الفتن الواقعة بين أبناء الأمة الواحدة،

والجهاد ضد الأعداء من الكفار والمنافقين، فهؤلاء جهادهم واجب، وفرض على كل مسلم، إما فرض عين، أو فرض كفاية.

و- احرص على مجالس العلم والفقه حتى يحدث لك النور الذي وعد الله به، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ (الأنعام: ١٢٢).

ز- تَعرَّفْ على عدوِّك الحقيقيِّ، وعدوِّ دينِك، واحذرِ الغزوَ الفكريَّ وآراءَ المستشرقين، ومن ينقل كلامهم ويترجمه لنا.

ح- كن قويًّا بالإيمان، واثقًا بموعود الله تعالى، متفائِلًا بنصر الله ﷻ، عالمًا بأن الخير يكمن في الشرِّ، ويأتي بعد الشرِّ خيرٌ، وسيجعل الله بعد عسر يسرًا.

ط- واحذر من دعوى الجاهليَّة، فهي من سبيل المجرمين.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ (الأنعام)، والنبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن أن أصحابها من حطب جهنم في قوله: [...**وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ**...][(١)].

نسأل الله السلامة والعافية لنا ولكم.

---

(١) أخرجه أحمد، ح (١٧٨٠٠)، والترمذي، ح (٢٨٦٣)، وقال: حسن صحيح غريب.

اللهم عافِنا من الشَّهَوات والشُّبُهات، ومن أمراض القلوب والأبدان، وعافنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، واغفر لنا ذنوبنا وكفِّر عنا سيِّئاتنا، وتوفَّنا مع الأبرار، وارحم آباءَنا وأمهاتِنا كما ربَّوْنا صغارًا، واشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، وارحمْ موتانا وموتى المسلمين، وانصرِ الإسلام وأعِزَّ المسلمين، واحقِن دماءهم في مشارق الأرض ومغاربها، وارزقنا الحِلم والعفو والصفح والمغفرة، والصبر على البلاء، بمنِّك وفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين، وصلِّ اللهم على نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

وكتبه العبدُ الفقيرُ لعفو ربِّه الكريمِ

خالدُ بنُ نجمِ الدين بن عبدِ الرزَّاق الخطَّاب

* * *